

كيف نجعل من الإلقاء طريقة تدريس ناجحة في الجامعة؟

الدكتور: بن زينة أمينة

أستاذ محاضر

الجامعة الإفريقية أحمد دراية - أدرار

إن البرامج التعليمية ومهما تكون معدة إعدادا جيدا، من حيث مراعاتها لخصائص المتعلمين المقصودين بها، ومراعاتها لبيئتهم وراثتهم الاجتماعي والثقافي، ضمن مفردات دراسية متناسقة ودقيقة، فإنها لا تحقق الأهداف المتوخاة منها، ما لم يكن تنفيذها ميدانيا يجري على الوجه الأكمل.

وهذا ما تجسده طريقة التدريس التي ينتقيها الأستاذ المدرس، بحيث تتناسب ونوع المادة العلمية المراد تدريسها من جهة، وتتناسب ومستوى الطلبة المعنيين بها من جهة أخرى. وذلك لما لها من ترابط عضوي بين مفردات المنهج وأهدافه المسطرة. وهو ترابط يجعل من طرق التدريس - باعتبارها وسائل تنفيذ المناهج - تتغير بتغير البرامج والأهداف، وتتطور بتطورها.

وعليه فإن الاعتقاد السائد عند كثير من الناس، من أن إلمام الأستاذ بمادته وتمكنه منها، حري بأن يجعل منه أستاذا ناجحا في أداء وظيفته، اعتقاد خاطئ إلى درجة كبيرة. ذلك أن الإلمام بالمادة التي يعلمها الأستاذ شيء، والقدرة على تبليغها لطلابه شيء آخر. مع التسليم بأن هذا الإلمام شرط أساسي في وظيفة التعليم. فإنه لا يكفي وحده لجعل المدرس ناجحا على الإطلاق، لما للطريقة من أهمية في إبراز ذلك النجاح.

ومن ثمة أدرك البيداغوجيون وعلى اختلاف مشاربهم وأمصارهم أهمية البحث والتنقيب عن أفضل الطرق وأنجعها في تحقيق الغايات المنشودة قصد مساعدة الأستاذ على إنجاز المناهج المحددة بشكل انسيابي.

ومن الطرق التعليمية المشهورة المعتمدة في التدريس، طريقة الإلقاء التي تجسدها المحاضرة في الجامعة. وطريقة الإلقاء وإن كانت تقليدية في وصفها، فإنها تتميز بخصائص سلبية ظاهرة، مثل إقامتها على أساس أن المقصود بالتعليم هو نقل المعلومات إلى الطلبة بشكل آلي، بصرف النظر عن علاقة هذه المعلومات بمجيباتهم وميولهم، أو ارتباطها بمشكلة من مشكلات بيتهم. وهو وصف كما يبدو يجعل من الأستاذ فيها هو العنصر الفاعل إيجابيا في التبليغ بامتياز. ويجعل الطالب فيها يبقى سلبيا في معظم وقتها، باعتباره يتقبل ويخزن المعلومات، ولا يشارك بفعالية في تلقيها، كما هو شأنه في الطرق الحديثة المختلفة.

هذا ما سيتوضح من خلال هذا المقال الذي سأعالج فيه المعطيات المتعلقة بهذا الموضوع والتي سأتناولها بالترتيب الآتي:

أولا: تحديد بعض المفاهيم:

إن التطرق إلى تحديد بعض المفاهيم في البداية ضروري لجعل السامع أو القارئ على نفس الوتيرة التي يقصدها الكاتب أو المخاطب، خصوصا وإن المفردات المراد توضيح معانيها كثيرا ما يتردد استعمالها في صلب الموضوع.

- أقصر كلامي هنا على ثلاث مفردات أساسية هي:

- الطريقة
- الإلقاء.
- المحاضرة.

ورغم كل ذلك فإنه لا غنى للأستاذ الجامعي عن هذه الطريقة. فحينئذ يصبح السؤال الرئيس يفرض نفسه وهو كيف نجعل من الإلقاء طريقة ناجعة في الجامعة؟ وكيف نحياها ونجعلها تؤدي وظيفتها على النسق نفسه الذي تؤديه الطرق الحديثة؟

1- **الطريقة:** ولتوضيح مدلولها أحاول أن أحدد مفهومها في اللغة والاصطلاح.

أ- في اللغة: الطريق هي السبيل، وقد يذكر ويؤنث، فيقال الطريق الأعظم والطريق العظمى، وتجمع على أطرق وطرق. والطريقة هي المذهب

يقال: ما زال الرجل على طريقة واحدة - أي مذهب واحد⁽¹⁾. وتعرف الطريقة كذلك بأنها أقصر وأضمن خط للوصول إلى اكتشاف الحقيقة ونشرها⁽⁵⁾.

وتجمع الطريقة على طرقات عندما يكون الغرض منها الطريق العام. يقول الرسول ﷺ: «ياكم والجلوس في الطرق»⁽²⁾ وقد تجمع على طرائق وطرق عندما يكون الغرض منها الأسلوب أو المسلك، كالطريقة العلمية، وطرق التدريس، وطرق الطعن⁽³⁾.

ب- في الاصطلاح: تعددت الاصطلاحات في تعريف الطريقة بتعدد الأهداف المحددة لها ومن ذلك أورد المفاهيم التالية:

- يعرف الدكتور عبد القادر فضيل⁽⁴⁾ طريقة التدريس فيقول هي: «منهج فلسفي يستمد أصوله من طبيعة المتعلم (طبيعة العقل البشري) ومن طبيعة الخبرة المراد تعليمها، ومن الهدف والمجال الحيوي العام الذي تتحرك داخله». فالطريقة عنده هي المنهج الذي يتحقق به وجود نمط التعليم.

- وأما الطريقة بالمفهوم الحديث، فإنها تعني الأسلوب الذي يستخدمه الأستاذ لتوجيه نشاط الطلاب التعليمي، توجيهها يمكنهم من أن يتعلموا بأنفسهم⁽⁷⁾.

ويستفاد من هذا التعريف مدى الإيجابية التي تسند للمتعلم. وأخلص من هذه التعريفات إلى أن الطريقة في مفهومها الاصطلاحي تعني الوسيلة العملية المتخذة لتنفيذ البرامج المقررة، والمساهمة في تحقيق الأهداف المتوخاة

من العملية التعليمية. ولعل هذا ما قصده الفكر الصيني كونفو شيوس، وهو يلمح إلى الطريقة الفضلة عنده بقوله: «إن الحكيم عندما يدرس يواجه الطلبة دون أن يسحبهم، ويحثهم على التقدم ولا يوقظهم أو يكتهم، ويفتح الطريق دون أن يأخذهم إلى المكان... وإذا شجع طلبته على التفكير فإننا يمكن أن ندعو هذا الرجل معلما جيدا»⁽⁸⁾.

2- الإلقاء: وأما الإلقاء فمدلوله هو أيضا يتجلى من خلال تعريفه اللغوي والاصطلاحي.

أ- في اللغة: الإلقاء هو الطرح، تقول ألقى من يدي وألقى شيئا، بمعنى طرحه⁽⁹⁾. ويقال ألقى الدرس بمعنى أملاه وعلمه، أو ألقى محاضرة. وتلقاه يعني أخذه. يقال تلقى العلم بالجامعة⁽¹⁰⁾. ويأتي الإلقاء ويأخذ معنى التبليغ فيقال: ألقى إليه القول يعني أبلغ إياه. وألقى عليه القول: أملاه عليه وهو كالتمليم لأبلغه إياه. ويأتي بمعنى التلقين. يقال تلقى منه الشيء تلقنه⁽¹¹⁾.

ب- في الاصطلاح: الإلقاء الاصطلاح يأخذ مدلوله في اللغوي ابتداءً، فيكون بمعنى التبليغ والتلقين، ونقل المعلومات من المثقف إلى المتلقي. وبذلك فهو تعليم عن طريق المحاضرة والإملاء.

3- المحاضرة: ولها مدلولها اللغوي والاصطلاحي.

أ- في اللغة: يقال حاضر، يحاضر، محاضرة القوم: جالسهم وحادثهم بها. حضره. وحاضر الناس ألقى عليهم محاضرة. والأستاذ يحاضر في الجامعة يعني يلقي المحاضرات. وحاضر أي ألقى محاضرة.

وقيل أن قولك حاضر الشخص، يعني أجاب بما حضره من الجواب. وحاضر الجواب أي جاء به حاضرًا. والمحاضر: تجمع على محاضرات. والمحاضرة ما يلقى الخطيب في محضر من الناس. وهي أحاديث أو دروس تلقى أمام الجمهور. فالمحاضرة تلقى وتسمع⁽¹²⁾.

ب- في الاصطلاح: أما في المصادر التعليمية، وقلة الإمكانيات المادية، والوسائل التي تحتاجها الطرق الحديثة. وهي اعتبارات تتميز بها الدول النامية.

فالإلقاء أصبح طريقة مألوفة سهلة وعظيمة تضمن تواصلًا وتخطابًا واحدًا، التطبيق لنتمكنها من تجاوز تلك الاعتبارات.

وعموما فإن هناك من يتخفف من استعمال كلمة محاضرة أو إلقاء، لا يتصور في الذهن من أن التكلم فيها، يتحدث بنبذة رتيبة، والمستمع لها بليد نعان.

فها هو البيداغوجي الإنجليزي جورج بوروان يفضل استخدام كلمة «شرح» بدلا من إلقاء محاضرة، لأن الشرح عنده هو إعطاء فهم للآخرين، باعتباره يتألف من سلسلة من العبارات الموضوع المدرس تستقى به المعرفة بالمهارات والمواقف التي يحتاجها الطلبة لينمكوا من إنجاز الأهداف مع الأخذ بعين الاعتبار الموضوعات الرئيسة والفرعية التي يجب تغطيتها⁽¹⁴⁾.

ومعلوم أن أكثر الطرق انتشارا في الجامعات هي طريقة طباشر والكلام، ويعني طريقة الإلقاء، التي تمثلها المحاضرة فهو يتضمن عددا من الخصائص أحسن تمثيل. وذلك لاعتبارات كثيرة، المهمة، كالوضوح والتنظيم والتأكيد منها الصفوف الكبيرة جدا، وقلة والتوجيه⁽¹⁵⁾. ولعل هذا ما جعله

ب- في الاصطلاح: الإلقاء في الاصطلاح يأخذ مدلوله من معناه اللغوي ابتداءً، فيكون بمعنى التبليغ والتلقين، ونقل المعلومات من المتلقي إلى المتلقي. وبذلك فهو تعليم عن طريق المحاضرة والإملاء.

3- المحاضرة: ولها مدلولها اللغوي والاصطلاحي.

أ- في اللغة: يقال حاضر، يحاضر، محاضرة القوم: جالسهم وحادثهم بما حضره. وحاضر الناس ألقى عليهم محاضرة. والأستاذ يحاضر في الجامعة يعني يلقي المحاضرات. وحاضر أي ألقى محاضرة.

وقيل أن قولك حاضر الشخص، يعني أجاب بما حضره من الجواب. وحاضر الجواب أي جاء به حاضراً. والمحاضرة تجمع على محاضرات. والمحاضرة ما يلقب الخطيب في محضر من الناس. وهي أحاديث أو دروس تلقى أمام الجمهور. فالمحاضرة تلقى وتسمع (12).

من العملية التعليمية. ولعل هذا ما قصده المفكر الصيني كونفوشيوس، وهو يلح إلى الطريقة المفضلة عنده بقوله: «إن الحكيم عندما يدرس يوجه الطلبة دون أن يسحبهم، ويحثهم على التقدم ولا يوقفهم أو يكتبهم، ويفتح الطريق دون أن يأخذهم إلى المكان... وإذا شجع طلبته على التفكير فإننا يمكن أن ندعو هذا الرجل معلماً جيداً» (8).

2- الإلقاء: وأما الإلقاء فمدلوله هو أيضاً يتجلى من خلال تعريفه اللغوي والاصطلاحي.

أ- في اللغة: الإلقاء هو الطرح، تقول ألقته من يدي وألقيت شيئاً، بمعنى طرحته (9). ويقال ألقى الدرس بمعنى أملاه وعلمه، أو ألقى محاضرة. وتلقاه يعني أخذه. يقال تلقى العلم بالجامعة (10).

ويأتي الإلقاء ويأخذ معنى التبليغ فيقال: ألقى إليه القول يعني أبلغ إياه. وألقى عليه القول: أملاه عليه وهو كالتعليم أبلغه إياه. ويأتي بمعنى التلقين. يقال تلقى منه الشيء تلقنه (11).

ب- في الاصطلاح: أما في الاصطلاح فالمحاضرة هي تقديم لفظي منظم لموضوع المادة الدراسية. وهي فترة من الحديث غير المنقطع من الأستاذ.

وتعرف كذلك بأنها طريقة تعليمية وعظية تتضمن تواصلا وتخطبا واحدا، من المقدم النشط إلى المستمعين السلبيين تقريبا. وقد يرد بعض الباحثين مصطلحها إلى الكلمة اللاتينية lecture التي تعني يقرأ بصوت عال⁽¹³⁾.

والمحاضرة في حقيقتها هي عبارة عن مسح لأهداف المنهج من خلال الموضوع المدرس تستقى به المعرفة بالمهارات والمواقف التي يحتاجها الطلبة ليتمكنوا من إنجاز الأهداف مع الأخذ بعين الاعتبار الموضوعات الرئيسة والفرعية التي يجب تغطيتها⁽¹⁴⁾.

ومعلوم أن أكثر الطرق انتشارا في الجامعات هي طريقة طباشير والكلام، يعني طريقة الإلقاء، التي تمثلها المحاضرة أحسن تمثيل. وذلك لاعتبارات كثيرة، منها الصفوف الكبيرة جدا، وقلة

المصادر التعليمية، وقلة الإمكانيات المادية، والوسائل التي تحتاجها الطرق الحديثة. وهي اعتبارات تتميز بها الدول النامية.

فالإلقاء أصبح طريقة مألوفة سهلة التطبيق لتمكنها من تجاوز تلك الاعتبارات.

وعموما فإن هناك من يتحفظ من استعمال كلمة محاضرة أو إلقاء، لما يتصور في الذهن من أن المتكلم فيها، يتحدث بنبرة رتيبة، والمستمع لها بليد نعسان.

فها هو البيداغوجي الانجليزي جورج بوروان يفضل استخدام كلمة «شرح» بدلا من إلقاء محاضرة، لأن الشرح عنده هو إعطاء فهم للآخرين، باعتباره يتألف من سلسلة من العبارات القصيرة المحتوية على مبادئ، وإيضاحات، وتعريفات، وتقييدات. فهو يتضمن عددا من الخصائص المهمة، كالوضوح والتنظيم والتأكيد والتوجيه⁽¹⁵⁾. ولعل هذا ما جعله



ملفتا للانتباه. فأدرك الإنسان التمتع في هذه العملية، أنه إلى جانب التعليم والتعلم، هناك شيء آخر، هو طريقة التعليم. فبدأت العقول تبحث في ذلك وتجدد الطرق من عصر لآخر.

وهكذا عرفت طرق التعليم تطوراً ملحوظاً، بعدما كانت ساذجة تعتمد على الملاحظة والمحاكاة. وقطعت آمداً طويلة قبل أن تصبح علماً مستقلاً بذاته، وتصل إلى ما وصلت إليه اليوم. ولعل أشهر هذه الطرق هي ما تناولها الدارسون بالذكر ومنها:

- طريقة المصريين القدامى التي مدحها أفلاطون وأثبتت أنها كانت تعتمد على المشوقات الحسية خصوصاً في تعليم الحساب⁽¹⁶⁾.

- طريقة سقراط التي سميت بالطريقة الحوارية، والتي كان يبدأ فيها بالتجاهل والتظاهر بعدم المعرفة فيحاور فيها المتعلم.

- طريقة أفلاطون التي طبقها في مدرسته التي سماها الأكاديمية.

يفضل في مضمونه المعنوي عن مفهوم الإلقاء السلبي.

ثانياً: لمحة تاريخية موجزة عن تطور طرق التدريس

قبل التطرق إلى الحديث عن طريقة المحاضرة أرى أنه من الضروري أن نستنطق التاريخ في معرفة المراحل التي قطعتها طرق التدريس بصفة عامة، قبل أن تستقر على ما هي عليه.

يرجع الدارسون في حقل التربية إلى أن فكرة الطريقة في التعلم والتعليم نشأت في ظل المحاولة والملاحظة، حيث حاول الإنسان البدائي نقل خبراته ذات الأثر النفعي إلى أقرب الناس إليه بدافع فطري. ثم تبين للمتبعين للأمر أن المنقول إليه لم يكن يفلح في كل مرة في تقبل تلك الخبرات. فبحثوا عن سر النجاح والإخفاق الذي يلزم هذه العملية، ثم توصلوا إلى أن نقل المعلومات جافة، لا يؤثر في المنقول إليه بالشكل الذي يرضي الناقل، إلا إذا شوقها ووضحها. فتأثيرها حينئذ يكون

- طريقة أرسطو التي كان يلقي بها معارفه على طلبته وهم يستمعون⁽¹⁷⁾. ومع منتصف القرن السادس الميلادي، سادت في أوروبا طريقة الكنيسة التي عرفت بالأسلوب الروحي الذي يهدف إلى تطهير الروح. وموازية لها ظهرت طرق التربية والتعليم التي جاءت بها الحضارة الإسلامية، وخالفت بمحتواها طريقة الكنيسة. بحيث لم تقف عند الجانب الروحي فحسب، بل تناولت في المتعلم كل قواه، وأنشطته. وأتبع في ذلك أساليب متعددة، ووجهت الطالب إلى المعرفة عن طريق النظر والتأمل في الأشياء انطلاقاً من قول الحق: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁸⁾.

والاجتماعية، لا تتم بالوعظ والحفظ فحسب، بل هو في حاجة إلى الممارسة العملية. والعبادات في الإسلام أنماط من تلك التربية التي اتخذت لذلك أسلوب القدوة والمثل. يقول الحق: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁽¹⁹⁾.

واضطلع رواد الفكر والتربية بمهمة توضيح أساليب التعليم الفعال. فيها هو الإمام أبو حامد الغزالي يدعو إلى الاقتصاد بالمتعلم على قدر فهمه. فلا يرقى إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره. وأن يعطى الجلي اللائق من المعرفة⁽²⁰⁾. وكأنها إشارة منه إلى ضرورة احترام الفروق الفردية للمتعلمين.

وها هو ابن خلدون يدعو في أسلوبه إلى البدء بالإجمال، والانتقال إلى التفصيل، والعود على المجمل بالإيضاح أكثر توسعاً، والانتقال بالمتعلم من المحسوس إلى المجرد⁽²¹⁾.

ووجهته إلى استعمال الأسلوب العقلي، ونبذ التقليد الأعمى وتقبل كل شيء بدون مناقشة. ولذلك دعت إلى الاعتماد في التدريس على الخبرة، لأنها ترى أن بناء شخصية المتعلم من جميع جوانبها، الأخلاقية، والروحية،

أ- مجموعة العرض: وتتميز بإيجابية المدرس وقيامه بالعمل منفرداً في أغلب الأحيان، واشتراك الطلبة فيها يكون في أضيق الحدود.

ب- مجموعة الاكتشاف: وتتميز بإيجابية الطلبة، وعملهم تحت إشراف المدرس.

ج- مجموعة التعليم الذاتي: حيث يقوم الطالب فيها بالعمل كله، ولا يتدخل المدرس معه إلا في حدود جد ضيقة. عندما يستشار في ذلك⁽²³⁾.

وما يهمنا من هذه المجموعات اليوم هو مجموعة العرض، لأنها تتضمن طريقة التعليم بالمحاضرة التي هي محور الأساس في مقالنا.

والتدريس بالمحاضرة يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كانت شائعة بين الإغريق، وتبنتها بشكل واسع الجامعات المسيحية، والجامعات في الحضارة الإسلامية، عندما كانت المراجع نادرة. حيث كان العلماء والمثقفون يقرأون ملاحظاتهم وتفسيراتهم على الطلبة قبل وجود الكتب المطبوعة. بل

هاربارت (1772-1841) التي تميزت بعد أن عدلها تلامذته بالخطوات التالية:

التمهيد: ويقصد به التوطئة لما يقدم.

العرض: ويتضمن ما يعطى للمتعلمين من معلومات.

الربط والموازنة: ويقصد بها جعل علاقة وطيدة بين ما يقدم من معلومات سابقة وما يعطى من معلومات جديدة وإجراء الموازنة بينها.

التعميم والتطبيق: للوقوف على ما أدركه الطلبة مما قدم لها.

والمدقق في تفاصيل هذه الطريقة لا يجدها تخرج عن المبادئ التي أشار إليها ابن خلدون في طريقته.

وبعد ذلك ظهرت الطرق الحديثة، كطريقة المشكلات لـ جون ديوي الأمريكي، وطريقة المشروع وطريقة الوحدات ... الخ⁽²²⁾. وقلّبت الأدوار المحورية بين المتعلم والمعلم فوسعت دائرة الأول وضيقّت من دائرة الثاني.

وهكذا نستنتج أن طرق التدريس بصفة عامة تنقسم إلى ثلاث مجموعات هي:

ظلت طريقة المحاضرة في التدريس هي الطريقة الرئيسة المستخدمة في الجامعات، وهي الأكثر شيوعاً.

ولعل من مبررات ذلك، السمة التاريخية التي كانت تجعل من أهداف التدريس في الجامعة اكتساب المعرفة والعلم والثقافة وتنمية العقول الباحثة، دون إعطاء اعتبار للجوانب التكنولوجية الاحترافية، التي تحتاج اليوم إلى طرق عملية تجريبية أكثر مهارة من الإلقاء⁽²⁴⁾.

بالإضافة إلى الضغوطات الخارجية (اجتماعية اقتصادية سياسية) التي مازالت قائمة والتي تؤدي إلى تزايد الطلبة بشكل هائل مع نقص الموارد وقلة الإمكانيات.

وإذا كان التعليم الجامعي في السابق ظل غمطياً إلى حد كبير، حيث أن لمحاضر يتحدث، والطالب يصغي شكل سلبي، فإن هذه النمطية ما زالت قائمة في كثير من جامعات اليوم وإن أنت فائدتها تتجلى بشكل أفضل كلما يراود من التدريس اكتساب مقدار

محدد من المعلومات وبصورة جيدة. ولكن وحيث أن المقرر الدراسي أصبح كبيراً، وعدد الطلبة أكبر منه، وقيود الزمان متعددة، فإن طريقة الإلقاء أصبحت توصف نتيجة تلك العوامل، بكثير من الموصفات السلبية. ولذلك بات من الضروري تحيينها وتكييفها مع الأوضاع الحديثة، لأنه ومهما كانت سلبياتها، فإن ذلك لا يوحى بنبذها بتاتا، وإنما يجب تجنب نقص الضعف فيها، وتثمين مواطن القوة بها، باعتماد أساليب الإلقاء الفعال، وباحترام خصائصه ومهاراته. ولعل هذا ما سيتوضح في المحاور الموالي.

ثالثاً: مهارات إلقاء المحاضرة:

إن الافتراض القائل بأن المحاضرين المبدعين، يولدون ولا يصنعون، قد تم دحضه بالواقع. ذلك أن التدريس الفعال، وعلى أي مستوى، لا يتحقق من خلال بعض الصيغ السحرية التي تميز القلة النخبوية، بل يعتمد لدرجة كبيرة، على استعداد المحاضرين، الذي يتم قبل

- تحديد ويدقة متناهية الأسئلة التي تطرح على الطلبة، وتوقع الأسئلة التي يشارك بها الطلبة في إثراء المحاضرة، ومدى تطابق ذلك مع موضوع المحاضرة⁽²⁶⁾. وهذا قصد تجنب الأجوبة الارتجالية على أسئلة قد تكون هي أيضا ارتجالية.

- تحديد الأماكن المناسبة لإثارة اهتمام الطلبة بمشاكل تجيب عنها المادة المدروسة وذلك بوقف الإلقاء إذا اقتضى الحال لفترة تسمح بطرح السؤال والرد عليه.

فهذه جوانب مهمة على الأستاذ المحاضر أن يأخذها بعين الاعتبار، عند إعداد المحاضرة. وحتى يتيقن من جودة ما حضره عليه أن يسأل نفسه: ماذا يريد أن يدرس؟ ليجد الجواب في تعريفه الموضوع وتحديد أهدافه. ولمن توجه هذه المحاضرة؟ ليعرف المعنيين بها. وأين تقدم المحاضرة وكم تستغرق؟ ليعرف المكان والزمان. وهل هو واثق من معلوماته؟ ليجدد المصادر المفيدة. وهل يتوقع صعوبات تتطلب

بدء المنهج، وقبل كل حصة تدريسية. لأن التخطيط الفعال هو الذي يمثل الركيزة الأساسية للنجاح في أغلب المهن.

ومن ثمة كان عنصر التطوير المستمر والتكيف مع المستجدات، من المميزات التي يتصف بها الأستاذ الناجح⁽²⁵⁾. فهو مطالب بتقمصها على مستويات متعددة منها:

1- على مستوى التحضير: على الأستاذ أن يكون جاهزا ومستعدا للإلقاء المحاضرة، وذلك عن طريق التحضير الجيد والجدي الذي يتجلى في:

- التخطيط المنظم والدقيق لأركان المحاضرة، من تمهيد وعرض وشرح ومواقع المناقشة، مع التوزيع الدقيق لزمن المحاضرة على كل بند من بنودها المختلفة إلى درجة أن تصبح مجسدة في ذهنه.

- تحديد الأهداف المراد تحقيقها من خلال المحاضرة بشكل واضح، ليتمكن المحاضر من تقسيم عمله بعد ذلك، وإلا صعب عليه الأمر بعد ذلك.

الخبرات السابقة المكتسبة كمقدمة للمحاضرة الجديدة.

وإذا كان وقت المحاضرة طويلا لا بأس بتثبيت العناصر الرئيسة مطبوعة أو مكتوبة على السبورة ليسهل على الطلبة متابعة ما يقال، أو كتابة العنصر كلما حان وقت الكلام عنه.

ب- العرض: بعد التمهيد أو المقدمة يشرع الأستاذ في عرض محاضراته. وحتى يكون إلقاءه فعالا عليه أن يراعي الجوانب التالية:

- أن يتفهم طبيعة الطلبة ويتفاعل معهم ويحترم فروقهم الفردية، باستعمال الوسائل والأدوات وطرق التبليغ المناسبة، مع إعطائهم الوقت الكافي لتسجيل ملاحظاتهم.

- ضرورة التدرج في المحاضرة من المعلوم إلى المجهول خصوصا عند ربط الجوانب الحديثة بالقديم. ومن السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب ومن المجل إلى الفصل.

منه مضاعفة التركيز؟ ليحدد تلك الصعوبات المتوقعة. وهل تيقن من فعاليت الوسيلة التعليمية المراد استخدامها؟ ليقوم بانتقائها واختبارها قبل استعمالها⁽²⁷⁾.

فإذا ما أخذ الأستاذ هذه الجوانب بعين الاعتبار فلا شك أنه سيتمتع بإعطاء محاضرة بنفس القدر الذي يستمتع به طلبته عندما تكون المعطيات المقدمة لهم في المستوى المطلوب.

2- على مستوى الإلقاء: على الأستاذ أن يراعي مهاراته وهو يقوم بـ:

أ- التمهيد: ويظهر فيه علاقة الموضوع الجديد بما سبقت دراسته من الموضوعات، مع تقديم فكرة عامة عن العناصر الرئيسة، وبيان أهمية الموضوع الجديد، قصد تشويق الطلبة لاستقباله⁽²⁸⁾.

ويبدأ الأستاذ محاضراته بإثارة حب الاستطلاع لدى الطلبة أو بتكوين اتجاه لديهم نحو حل مشكلة أو باستخدام

- عليه أن يتحدث إلى الطلبة بشكل مباشر ما أمكن وأن يتجنب أسلوب الخطاب الرديء، والقراءة والتمتمة، وأن يستعمل اللغة الفصيحة البسيطة، وأن يتجنب الكلمات الصعبة والغريبة لأنها لا تفهم، والكلمات الهابطة المبذلة لأنه يستخف بها، واستعمال الأشكال غير المعقدة، والخطوات الواضحة، كل ذلك يساعد على استيعاب الموضوع.
- عليه أن يستعمل الصوت الطبيعي المناسب، بحيث لا يكون مرتفعا فيزعج، ولا منخفضا فلا يسمع، مع العمل على أن تكون الكلمات واضحة المخارج وأن يكون النطق سليما وأن تراعى قواعد اللغة ليبقى الأستاذ أسوة حتى في نطقه.
- عليه أن يكيف سرعة الإلقاء حسب الأهمية بالنسبة لجزئيات الموضوع وحسب قدرة الطلبة على المتابعة والاستيعاب.
- عليه ألا يسمح بطغيان الاستفسارات وردودها على وقت المحاضرة ولا طغيان فرع منها على مجموعها.
- عليه أن يتجنب تركيز بصره باستمرار على ما لديه مكتوبا من المحاضرة.
- عند استعمال السبورة يجب أن يكون الخط واضحا ومقروءا لما في ذلك من تسهيل لاسترسال الإلقاء وتجنب الاستفسار غير مرغوب فيه.
- عليه أن يتجنب الإطناب أو تكرار فكرة واحدة بصيغ مختلفة لأن ذلك يدل على أن الفهم لم يتجاوز تلك الجزئية أو أنه تم بشكل خاطئ⁽²⁹⁾.
- عليه أن يفسح المجال للطلبة بطرح بعض الأسئلة من حين لآخر مع عدم قبول الأسئلة العامة والمبهمة لها من تأثير سلبي على زمن المحاضرة.
- عليه أن يظهر مرونة في المحاضرة لمواجهة المستجدات والأسئلة غير المتوقعة بحكمة، مع التحسس لمشاكل حلها.

- إن تنظيم عملية العرض تساعد الطلبة على تفعيل عملية الحصول على المعرفة، وربط الأفكار ذات الصلة بعضها ببعض.

- على الأستاذ ألا يترك أية فرصة تتاح إليه - حتى أثناء المحاضرة - دون استغلالها بالشرح والتفسير قصد تثبيت الأفكار التي يتناولها.

3- على مستوى لفت الانتباه:

وفي هذا المستوى لا ينبغي الانزعاج بانصراف انتباه الطلبة، واعتباره إهانة، إنما ينبغي النظر إلى ذلك نظرة موضوعية، ومحاولة إعادة جلبه بالطرق البيداغوجية المختلفة، منها على سبيل المثال:

- إعادة تقديم المحاضرة بطريقة مفعمة بالنشاط والجدّة والغرابة، أو بخلق مواقف تعليمية تحتاج إلى المعالجة⁽³⁰⁾.

- إن جدية أسلوب التوصيل الفعال من شأنه، ليس فقط إضافة معنى للجلسة التعليمية، بل يقوم بتقليل حالة الملل. خصوصا وأن التنوع في أسلوب التوصيل يتم بأشكال كثيرة

من شأنها كلها إعادة جلب الانتباه، ومن ذلك تغيير الصوت، والتنوع في طبقاته بما يتناسب مع المواقع، والاستخدام الانتقائي، والتعبير الوجهية، والإيماءات.

ويمكن للأستاذ أن يقص على طلبته قصة لها علاقة بالموضوع، فإذا ما لاحظ أن الانتباه قد وصل ذروته، يعطي المادة الرئيسة من المحاضرة، ويعززها من خلال ربطها بالقصة. ثم يتوقف عن السرد، فإن الطلبة حينئذ سيتلهفون إلى معرفة ما بقي من العرض، فيقحم الأستاذ ما بقي عنده من المعلومات⁽³¹⁾.

- وفي إطار لفت انتباه الطلبة وتركيزهم على المحاضرة بأسلوب المحاسبة، يجبر الأستاذ طلبته بأنهم مسؤولون عما يلقي في المحاضرة، أكثر مما هو مقيد عندهم في المطبوعة أو الكتاب.

- وعلى الأستاذ أن يشجع طلبته على تسجيل بعض الأفكار المهمة من المحاضرة في مذكراتهم الخاصة، لما في



- وعليه أن يحسن استخدام الوسائل المعينة على التوضيح، سواء كانت مادية أو معنوية (أمثلة - قضايا - مستجدات)، فكل ذلك يساعد على إثارة انتباه الطلبة ابتداءً أو رده إذا شرد انتهاءً.

4- على مستوى قيادة الفصل: إن

حسن قيادة الأستاذ لفصله من شأنه أن يثير الانتباه، لكن لا ينبغي أن تكون هذه القيادة استبدادية. وإنما تكون ناجعة بقدرته على بناء علاقة طيبة بينه وبين طلبته، فيجعلهم يرتاحون لما يقول، ولا يفكر حتى المشاغبون منهم في التشويش على بعضهم ويهجر الكسالى منهم نسبة المحاضرة بالوقت الرسمي للنوم.

على الأستاذ القائد أن يضبط حركته أثناء الإلقاء فلا يلتزم بمكان واحد يكون فيه كالتمثال الجامد، ولا يجعل حركته كحركة النحلة التي تزعج بطنينها أسماع الآخرين⁽³²⁾.

ذلك من فوائد، أقلها أنها تبقي الطلبة منتبهين لما يقال. وليس من الضروري أن تكون الكتابة بلغة المحاضر، بل يكفي أن تكون بكل ما يدل على أن الطالب فهم الغرض من الجزئية أو الفكرة.

- وعلى الأستاذ أن يتجنب تشتيت انتباه الطلبة بالخروج الدائم عن الموضوع، أو الطرق على الطاولة، أو الاستخدام المفرط لبعض الألفاظ (أم - آه - يعني ... الخ).

- وعليه أن يحرس على حفظ يقظة طلبته بإبراز بعض المشكلات أثناء الإلقاء، أو طرح سؤال على الطلبة كلهم، أو على طالب بعينه، قصد إيقاظهم، واختبار درجة تتبعهم، أو التأكد من مدى فهمهم لما يلقي.

- كما يمكنه استخدام الإيماءات والتواصل العيني، وملامح الوجه، والنبرات الصوتية، والنكت الهادفة، وإظهار الاهتمام بالمحاضرة، والمناقشة بتشجيع وجهات نظر الطلبة.



5- على مستوى التطبيق والتقديم:

وهي مرحلة ينتهي بها الأستاذ محاضراته لتعزيز ما أخذته الطلبة في المقدمة وفي العرض، لأن المحاضر كما يقول المثل الصيني القديم: يخبر طلبته أولاً عما يريد إخبارهم به وهو التمهيد، ثم يخبرهم بما يريد وهو العرض، ثم يخبرهم بما أخبرهم وهو التعزيز أو التلخيص⁽³³⁾.

يتأكد الأستاذ في هذه المرحلة من إيجابية الطلبة بمطالبتهم بالإجابة على بعض الأسئلة المحورية، أو تلخيص جزئيات من المحاور الأساسية للمحاضرة، أو على الأقل قراءة ما كتبه بعضهم لنفسه⁽³⁴⁾.

- على الأستاذ أن يقيم طريقته في الإلقاء من حين لآخر، ومعرفة رد فعل الطلبة حولها، وذلك في استبيانات مغفلة لا يذكر فيها اسم الطالب الذي يجب على الأسئلة المطروحة.

- وعلى الأستاذ أن يهتم بنتائج الامتحانات الفصلية ويقوم بدراساتها دراسة جدية تجعله يقف على مدى

تحصيل الطلبة لما يقدمه إن سلباً أو إيجاباً. فيستفيد من ذلك مستقبلاً بتدعيم الإيجابيات وسد الثغرات السلبية.

وبتمكن الأستاذ من الإلمام بهذه المهارات فإنه لا شك يكون قد حوّل المحاضرة وجعل من أسلوب الإلقاء فيها أسلوباً ناجحاً في تقديم المعلومات وتدعيم التحصيل العلمي بأقل الإمكانيات، وهو ما يناسب وضع جامعاتنا اليوم.

وفي نهاية هذا المقال يمكنني أن أخص الموضوع بالإجابة على سؤال محوري مهم وهو هل التدريس علم أم فن؟ وحيث أن عملية التدريس هي عملية حياة وتفاهم كاملين بين الأستاذ والطلبة من جهة، وبينهم وبين المعرفة بجميع مصادرها من جهة ثانية.

وحيث أن الجانب العلمي في التدريس يتجسد في مدى معرفة الأستاذ للمادة العلمية المقررة، وهيمنتها عليها.

وحيث أن الجانب الفني في التدريس يتجسد فيما يكون عند الأستاذ من مهارات بيداغوجية لعرض وشرح المادة



بل يتشابهان بورشايج بنسب قوية، حينئذ الأساس. وبالتالي فالتدريس فالتدريس متشابه الاطراف من العلم والفن^(١٥) والأستاذ الناجح هو الذي يلم بجميع المعلومات التي يدرسها، ويقتن المهارات التي تساعد على توظيف تلك المعلومات، ونقلها بشكل انساني لطلابه. وبذلك يكون فننا في مهنة، ويؤديها بسلاسة ويسر، دون أن يشعر بتكلف، لأنه يعمل بتقائية طبيعية.

فالتدريس إذن علم وفن في آن واحد. والحاضرة ميدان خصب لتجسيد ذلك.

العلمية المكلف بتدريسها، تلك المهارات التي تبرز موقف الأستاذ وشخصيته، وحسن اتصاله بطلابه، من حيث الحديث والفهم، وحسن الاستماع، والرغبة في استهوائهم وتشويقهم للمادة العلمية.

إخلص من هذا كله، أن الجانب العلمي يتمثل في الهيكل النظامي للمعرفة، والجانب الفني يعني المهارات والخبرات التي يتميز بها فرد دون آخر.

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن العلم والفن في التدريس وجهان لعملة واحدة، فهما متداخلان، ولا ينفصلان،

الهوامش والتعليقات

- (1)- الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، ط3، دار العلم للملايين، د.م: 1984، ص1513.
- (2)- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام، 266/2.
- (3)- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي،؟؟؟، ص791-792- لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم،؟؟؟، ص465.
- (4)- عبد القادر فضيل: (الأسس النفسية وطرق التعليم)، همزة الوصل، مجلة التكوين والتربية، العدد 3، ص112.
- (5)- أحمد مختار عضوضة: التربية العملية التطبيقية، ص135.
- (6)- مديرية التكوين والتربية خارج المدرسة: دروس التربية وعلم النفس، ص74.
- (7)- المرجع نفسه، ص74.
- (8)- بربارا ماتير وآخرون: الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، ترجمة حسين عبد اللطيف كباره وماجد محمد الخطايبية، ط1، دار الشروق، فلسطين: 2000، ص183.
- (9)- الجوهري: الصحاح، مرجع سابق، 2484/6.
- (10)- المعجم العربي الأساسي، مرجع سابق، ص1098، 1099.
- (11)- المنجد في اللغة والأدب والعلوم، مرجع سابق، ص731.
- (12)- المعجم العربي الأساسي، مرجع سابق، ص326، 327؛ المنجد في اللغة والأدب والعلوم، مرجع سابق، ص139.
- (13)- الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، مرجع سابق، ص198، 199.
- (14)- المرجع نفسه، ص162.
- (15)- المرجع نفسه، ص202، 203.
- (16)- مصطفى أمين: تاريخ التربية، ص76.
- (17)- المرجع نفسه، ص76.
- (18)- الجاثية / 3.
- (19)- الأحزاب / 21.
- (20)- الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، طبعة 1982، ص57.
- (21)- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، مكتبة ومطبعة عبد الرحمان محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، القاهرة: د.ت، ص401.
- (22)- محمد إسماعيل ظافر ويوسف الحماوي: دروس في اللغة العربية، دار المريخ، الرياض: 1984، ص13.
- (23)- مجدي عزيز إبراهيم: الأصول التربوية لعملية التدريس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، د.م: 2000، ص95.
- (24)- الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، مرجع سابق، ص187.

- (25)- المرجع السابق، ص 145.
- (26)- الأصول التربوية لعملية التدريس، مرجع سابق، ص 98.
- (27)- الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، ص 30.
- (28)- فخري حسن زيات: التدريس أهدافه أسسه أساليبه، تقويم نتائجه وتطبيقاته، ط 4، دار عالم الكتاب، القاهرة: 1999، ص 195.
- (29)- الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، ص 121.
- (30)- المرجع نفسه، ص 118.
- (31)- المكان نفسه..
- (32)- الأصول التربوية لعملية التدريس، مرجع سابق، ص 99.
- (33)- الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، مرجع سابق، ص 208.
- (34)- التدريس أهدافه أسسه وأساليبه، مرجع سابق، ص 204.
- (35)- الأصول التربوية لعملية التدريس، مرجع سابق، ص 36-37.